الكشف عن النموذج القرآني في تعزيز الصبر عند المجموعات المرجعية

د. محسن قمرزاده (الكاتب المسؤول)
أستاذ مساعد ومدير قسم التعليم، جامعة طهران للإذاعة، إيران
ghamarzadehm@gmail.com
النا فاطمي نجاد
ماجستيرة (المستوى ٣) الإرشاد الأسري بالمنهج الإسلامي
fateminejad.elena@gmail.com

Discovering the Quranic Pattern of Enhancing Patience Among Reference Groups

Dr. Mohsen Qomarzadeh (responsible writer)
Assistant Professor and Head of the Department of Islamic Studies at the Islamic Republic of Iran Broadcasting University in Tehran
Elena Fateminezhad
Master of Science (Level 3) in Family Counseling with an Islamic Approach

الملخص:-

إنّ القـرآن الكـريم هـو المرجـع الرئيسـي لاكتشاف المعارف الإلهية واستخلاصها، بما في ذلك موضـوعات التربيـة الأخلاقيـة. تـولي سـور القـرآن المكية اهتماماً خاصاً بصبر النبيﷺ، لـذلك يمكن تحليلـه وبحثـه كأسـلوب تعليمـي للقـرآن في نمـو الجماعات المرجعية وتحسينها في المجتمع الإسلامي. يهدف هذا البحث إلى الإجابة على السؤال التالي: ما هو اكتشاف النموذج القرآني في تعزيز الصبر لدى الجماعات المرجعية من خلال نمذجة الآيات الموجهة إلى النبي ﷺ في الآيات المكية على أساس ترتيب نـزول السـور؟ إنّ مـنهج البحـث هـو الوصـفي-التحليلـي. نظـراً إلى معـايير الصـبر المباشـرة وغـير المباشرة في السور المكية، تم استخراج مجموع آيات ٣٨٥، وضعت في ٨٥ فئة و ٤٣ سورة على شكل جـدول. بعـض العنـاوين المستخلصـة مثـل: الوعـد والوعيد، والتعاليم العبادية، ومقارنة النبي بغيره من الأنبياء يمكن رؤيتها في جميع مراحل تعظيم صبر النبيﷺ أو معظمها في السور المكية، كـأنّ الـرب يعتبر وجود هذه العناصر مستمراً وضرورياً لتعزيز صبر نبيه. وبعضها الآخر يكون تدريجيًا وعلى شكل اتجاه تنازلي في اتجاه صاعد. اكتشاف العملية التنزيلية لصبر النبي ﷺ في آيات القرآن الكريم تشمل: الصبر المطلق، العفو، الصفح، والصبر الجميل، مما يدل على النشأة التدريجية والمتطورة لهذه الصفة في النبي واتباعها في الجماعات المرجعية، كما أنه من خلال زيادة القدرة الروحية للنبي ﷺ خلال هذه المراحل، وذكر الوعد بانتصاره في القرآن وتدمير أعدائه، يمكن أن يكون نمطاً ناجحاً ومفيداً للمجموعات المرجعية.

الكلمـات المفتاحيـة: الاكتشـاف، الـنمط القرآنـي، التعزيز، الصبر، المجموعات المرجعية، النبي ﷺ.

Abstract:-

The Quran is the primary source for discovering and extracting divine knowledge, including topics on moral education. The patience of the Prophet Muhammad (PBUH) is given special attention in the Meccan surahs of the Quran, making it a subject for analysis and research as a Quranic educational method for the growth and enhancement of reference groups in the Islamic society. This study seeks to answer the question: How can the Quranic pattern for enhancing the patience of reference groups be discovered by modeling the verses addressed to the Prophet (PBUH) in the Meccan verses and based on the chronological order of the surahs' revelation? The research methodology is descriptive and analytical. By considering direct and indirect criteria of patience in the Meccan surahs, a total of 385 verses were extracted, categorized into 85 groups across 43 surahs, and organized into tables. Some extracted themes, such as promises and warnings, worship instructions, and likening the Prophet to other prophets, are seen in all or most stages of enhancing the patience of the Prophet (PBUH) in the Meccan surahs, as if the Lord considers the presence of these elements to be continuous and necessary for enhancing the patience of His Prophet. Other elements appear in stages, in an ascending trend as per the order of revelation. The discovery of the process of enhancing the patience of the Prophet (PBUH) in the Quranic verses includes: absolute patience, forgiveness, forbearance, and beautiful patience, indicating a gradual and transformative emphasis on this trait in the Prophet and, subsequently, in the reference groups. Additionally, with the increasing spiritual capacity of the Prophet (PBUH) through these stages and the promise of his victory in the Quran and the destruction of his enemies, a successful and efficient model for reference groups can be derived.

Key words: Discovery, Quranic pattern, enhancement, patience, reference groups, Prophet Muhammad (PBUH).

المقدمة:ـ

لقد جعل الله تعالى التربية الأخلاقية من أكثر وسائله تواتراً في آيات القرآن الكريم. التربية الأخلاقية عند الأنبياء الإلهيين، نظراً للمسؤولية الكبيرة في توجيه الناس وتربيتهم، وإحداث التغيير والتحول في المجتمع، تجلت في صفات مثل: الصبر، وشرح الصدر، والعفو، والصفح، واللطف، والنصيحة وغيرها. لذلك رداً على رأي بعض منتقدي المناقشات الفكرية الدينية الذين لا يفهمون وظيفة الدين في رفع مستوى المعيشة ويعتبرون الدين فاشلاً في منافسة المدارس الإنسانية بهدف رفاهية الإنسان، ولا يقتصرون على مكانة الدين إلا في هدف سعادة الآخرة، ولا يعتبرون رفاهية الإنسان الدنيوية إلا في ظل العقل البشري والتجربة الإنسانية. (ملكيان، ١٣٨٠، ٢٩٧). والحجة هي أن المفاهيم والأسس القرآنية تنطوي على الوصف والنصيحة. هذا يعني أنّ الله وصف الحقائق العميقة مثل طبيعة الجنة والنار، وأفعال الإنسان وغيرها بآيات وصفية، وبآيات استشارية مباشرة وغير مباشرة مع وصايا وحلول وتعليمات لتحسين ورفع المستوى المادي والروحي لقد زودت البشرية وهذه الوصفات لا يمكن اكتشافها وتحقيقها إلا من خلال طرق البحث العلمي ومع الآيات النصحية المباشرة وغير المباشرة مع الطروحات الإرشادية، قدم حلولاً وتعليمات لتحسين ورفع المستوى المادي والروحي للإنسانية، وهذه التعليمات لا يمكن اكتشافها وتحقيقها إلا من خلال أساليب البحث العلمي.

من أهم المواضيع التي تتجلى في مختلف عناوين ومراحل النموذج الإنساني الوحيد في سياق الآيات المكية عند أهل العلم، سبل تحسين صبر النبي ﷺ والذي هو أمر مهم كسلطة دينية وتعزيز أساس حكومته الدينية. لذلك يمكن البحث والكشف عن النمط التعزيزي للقرآن فيما يتعلّق بالموذج الإنساني للنبي ﷺ كمرجع ونموذج وحي للوصول إلى تعزيز الصبر والتسامح لدى الفئة المرجعية. لهذا السبب فإن وجود قدرة روحية وأخلاقية عالية لدى الأنبياء عند توليهم منصب الرسالة لا يتعارض مع النمو العملي والتدريجي في فترة ما بعد الرسالة؛ لأنّه أولاً لا يوجد سبب منطقي لوقف نمو الإنسان، وخاصة في الحياة الدنيا، ثانياً: يثبت التاريخ أنه عندما انتخب نبي لمنصب النبوة اشتدت مقاومة المعارضين والأعداء لرسالته وكثرت مكائدهم.

وتظهر الزيادة في قدرة صبر نبي الإسلام ﷺ وتحوله إلى الأعلى من خلال طرق مثل النزول التدريجي وسرد قصص الأنبياء السابقين في آيات مثل: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ (الفرقان/٣٢) و ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾» (هود/١٢٠) لقد عانى سيدنا محمد ﷺ من أبشع الإساءات، وواجه أفظع التحديات في سبيل نشر الدين وإرشاد الجاهلين في نزوله. إن دراسة آيات القرآن تبين أن الله تعالى قد أولى اهتماما خاصا لزيادة القدرة الروحية وتعزيز الصبر والتسامح لنبيه، بحيث يعتبر أهم أهداف نزول الآيات القرآنية تدريجياً تثبيت قلب النبي ﷺ وشرح صدره: ﴿...لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ...﴾ (فرقان/٣٢) لكن هذا لا يكفي، وحتى مع نزول الآيات القرآنية الهادية، فقد أعي النبي ﷺ مثابرة وزوّده بوصف خاص للصدر يتناسب مع المشاكل التي ظهرت.

يحاول هذا البحث الإجابة على السؤال التالي: كيف يمكن تحليل الآيات الكثيرة المتعلقة بصبر الرسول الكريم ﷺ في القرآن الكريم، بما في ذلك الأوامر المباشرة والسياقات المختلفة، خاصة في السور المكية؟ إن دراسة عملية تعزيز صبر سيدنا محمد ﷺ وفق سيرورة نزول الآيات، يمكن أن تكون نموذجاً لحالات مماثلة مثل المجموعات المرجعية في الحكومة الإسلامية وعلماء الدين الهاديين. للإجابة على هذا السؤال، لا بد من دراسة كل من هذه المفاهيم.

تشير نتائج التحقيق وتحليل خلفية البحث إلى أنّ التربية الأخلاقية وبنية النمط القرآني للسلوك من المواضيع التي تم بحثها بطرق عديدة وبأبعاد مختلفة. لقد قام الباحثون في القرآن الكريم بدراسة العديد من المسائل المتعلقة بالصبر، وأهمية الصبر ومكانته في القرآن، وفوائده، والعوامل المولدة له في القرآن ولكن حتى الآن لم يتم العثور على كتابة تبحث وتحلل تعظيم صبر نبي الإسلام ﷺ في القرآن الكريم استناداً إلى عملية الوحي في آيات السور المكية من أجل أن تكون نموذجاً قرآنياً يُقدم للمجتمع الإسلامي. يهدف هذا البحث إلى اكتشاف عملية تعزيز الصبر عند النبي ﷺ من خلال التحليل الإحصائي وبيان التعدد والاختلاف في المواضيع المطروحة في هذه الآيات، الأمر الذي سيكون مفيدا للغاية لتعزيز الروح المعنوية وزيادة صبر أولئك الذين يسعون في هداية المجتمع وهم الفئات المرجعية في المجتمع.

١. المفاهيم

١-٢."النموذج": النموذج هو مثال لخلق نماذج أخرى بحيث تصبح عادة اجتماعية من

خلال تكرارها كعادة ومتابعة أشخاص آخرين وتواترها. (نيك گهر ، ١٣٦٩) كما تم اقتراح هذا المفهوم فيما يتعلق بالعملية التي يتم من خلالها اكتشاف سلوك فرد أو مجموعة نموذجية واستخدامه كمحفز لأفكار وسلوكيات الآخرين (جي. آلن ، ١٣٧١).

٢-٢. "المجموعة المرجعية ": المجموعة المرجعية هي الشكل المرجعي الذي تحتاج الشرائح الأخرى إلى المعايير والأساس لتقييم قيمها وإنجازاتها ووظائفها وأدوارها، والتي تحصل عليها من خلال المجموعة المرجعية. تسمى هذه المجموعات المشار إليها والمتبعة "المجموعة المرجعية". (كوئن، ١٣٧٣، ص ١٣٨؛ قرائي مقدم، (١٣٧٤)، ص ١٧٨-١٧٧؛ وثوقي (١٣٧١)، ص ٢٠٩؛ قنادان، (١٣٧٥)، ص ١١٨).

٣-٢. "الصبر" في نظرة القرآن الكلية: الصبر هو ضد الجزع (الفراهيدي، ١٤٠٩، ٧، ١١٥)، وهو بمعني الحبس (قريشي بنائي، ١٤١٢، ٤، ١٠٥)، والتمسك عند الضيّق (راغب الأصفهاني، ١٤١٢، ٤٧٤) وحفظ النفس من القلق والجزع مع السكينة والطمأنينة (مصطفوي، ١٣٦٨، ٦، ١٨٢). في الحقيقة أن الصبر هو سمة نفسانية ودافعة تحد من ميول الإنسان الفطرية ورغباته إلى العقل والشريعة من جهة، ومن جهة أخرى تمنع النفس من التهرب من المسؤولية وتجبرها على المثابرة في واجباتها وتحمل ما يترتب على ذلك من مشاق.(راغب اصفهاني،١٤١٢، ٤٧٤). تنقسم الآيات القرآنية في وصف عملية تعزيز الصبر عند نبي الإسلام ﷺ إلى قسمين:

أ. المنهج المباشر: آيات تأمر النبي بالصبر أو تنهاه عن عدم الصبر والجزع مباشرة. إنّ هذه الآيات على ثلاثة أقسام:

١. آيات تأمر النبي ﷺ بالصبر. نحو: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ (القلم/٤٨، نزول٢)

٢. آيات تأمر النبي ﷺ بالسلوك الملازم بالصبر. مثل: العفو، أو الصفح، أو المثابرة.

٣. آيات تنهى عن السلوك الناتج عن عدم الصبر؛ مثل العجلة وضيق الصدر..

ب. غير مباشرة: الآيات التي من خلال تقديم الدعم والمعنويات للنبي ﷺ زادت من صبره ومقاومته ضد اضطهاد المشركين وتدل على تقوية صدره واستقرار قلبه نحو: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ (الانشراح/١)؛ أو: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ

شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (اسراء/٧٤).

تحتوي هذه الترتيبات علي أهداف مثل: التعبير عن العلم الإلهي بالعوامل المزعجة مثل إزعاج الكفار، والتعبير عن تشبيه النبي ﷺ بغيره من الأنبياء الإلهيين في المقاومة أمام الأعداء، والأمر بالاقتداء بالأنبياء الذين صبروا، وعدم التأسي بمن أصابهم الجزع مثل يونس وآدم عليهما السلام[1]، الوعد بنجاة النبي ﷺ والثواب الإلهي وحسن خاتمته، والإخبار بالنهاية الرهيبة والعقاب الدنيوي والأخري لأعداء النبي ومعارضيه، والأمر بممارسة العبادات مثل الصلاة والاستغفار لتقوية الصبر.

تشمل الأهداف المعلنة تركيزاً كبيراً جداً من الآيات في السور المكية. علي سبيل المثال، من بين عشرين حالة للأمر المباشر بالصبر، توجد تسع عشرة حالة في السور المكية، وحالة واحدة فقط في السور المدنية: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ (انسان/٢٤). كما ورد في السور المكية مرات عديدة عن تكذيب الأنبياء السابقين وتشابه حالهم مع نبي الإسلام ﷺ، بينما في السور المدنية لم تذكر هذه النقطة إلا مرتين: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ...﴾ (آل عمران/١٨٤)، و ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ...﴾ (حج/٤٢) وأيضاً قصة الأنبياء الإلهيين لإطمئنان قلب النبي ﷺ: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (هود/١٢٠) في السور المدنية ورد ذكره قليلا جدا وبشكل عابر، على عكس السور المكية التي وردت بالتفصيل في سور كثيرة. وفقاً لهذه الأهداف تم استخراج ما مجموعه ٣٨٥ آية[2] في الجدول أدناه. تقع هذه الآيات في ٨٥ فئة وفي ٤٣ سورة من القرآن الكريم، وفي كل فئة يمكن رؤية عنوان أو أكثر:

الآيات المباشرة	الأمر بالصبر	١٩ حالة
	امر به ملازم صبر (استقامت، عفو، صفح)	٥ حالات
	النهي عن ضد الصبر (العجلة، ضيق الصدر، الحزن)	٧ حالات
الآيات غير المباشرة	العلم الإلهي بأسباب إيذاء النبي ﷺ	٥ حالات
	تشبيه النبي ﷺ بالأنبياء الإلهيين وأقاربهم	١٣ حالة
	الإشارة إلى الأنبياء الصابرين أنموذجاً وعاقبة نفاذ صبر بعضهم	٦ حالات
	الوعد بنجاة الصالحين ومصيرهم بما فيهم النبي ﷺ	١٣ حالة
	التوعد بالعقاب والهلاك للأعداء الذين يؤذون النبي ﷺ	٤٢ حالة
	تعليمات تعبدية إلى جانب الأمر بالصبر	٨ حالات

٢. التوظيف النزولي للصبر في الآيات

بنظرة عامة إلى آيات تعزيز الصبر عند النبي ﷺ حسب ترتيب النزول، ومع مراعاة

كثافة العناوين في الجدول أعلاه في السور المكية، يمكن دراسة هذه الآيات بطريقتين متواصلتين وعملية:

أ. المتواصلة

قد وردت بعض العناوين المذكورة في الجدول أعلاه في كل أو معظم مراحل تعزيز صبر النبي ﷺ في السور المكية. كأن الرب يعتبر وجود هذه العناصر مستمرا وضروريا لزيادة صبر نبيه، هذه العناوين هي:

الأمر بالصبر: إن الروح السائدة علي جميع السور المكية هو الأمر بالصبر على النبي ﷺ حتى يكون لديه المقاومة اللازمة في مواجهة اضطهاد الكفار والمشركين المكيين. ذلك بدأ من السور الأولى التي نزلت على النبي ﷺ (القلم، نزول ٢) حتى نهاية السور المكية (الروم، نزول ٨٤). وإن نصّ في هذه الأثناء عن الصبر: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ (المزمل/١٠، نزول٣) أو المراد من الصبر: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾ (المدثر/٧، نزول٤).

الوعد والوعيد: من أهم آليات الدعم لتقوية روح النبي ﷺ الذي كان في طليعة القتال ضد المشركين وكان يقاوم أمام هجماتهم اللفظية والنفسية الشديدة، أصبحت الوعود التي أعطاها الله النبي وقد تم التعبير عن هذه الوعود في مجالين:

١. التعبير عن الأجر والثواب أو الخاتمة السعيدة التي تنتظره.

٢. الوعيد بالعقاب والهلاك لمن آذى النبي بلسانهم وسلوكهم وحالوا دون تحقيق أهدافه الهادية.

هذان النوعان من الوعد يتكرر ملاحظتهما في آيات القرآن من أول نزول القرآن إلى نهاية السور المكية. من سورة القلم (نزول ٢) التي تشير في الآية ٣ إلى ثواب النبي العظيم والدائم ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ﴾ وفي الآية ٣٣ تتحدث عن عذاب الكاذبين في الدنيا والآخرة: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾؛ إلى سورة الروم (نزول ٨٤) التي فيها اعتبر انتقام ضد المجرمين كتقليد تاريخي. وفي الآية ٤٧: ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ اعتبر خلاص المؤمنين حقاً على نفسه، وأخيراً في الآية ٦٠ يؤكد على صدق

وعد الله: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾. جدير بالذكر أنّ عدد الوعيد يزيد عن ضعف عدد الوعد. وهذاه الكثرة تدل على أثرها الأكبر في تحفيز النبي ﷺ.

التعليمات التعبدية: المناجاة مع الرب، وقد أمر النبي ﷺ في سور مكية عدة مرات: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾ (الزمر/٢) واعتبره وحيًا عامًا لجميع الأنبياء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء/٢٥). ولكن يبدو أن بعض هذه الأوامر التي ذكرت مع الأمر بالصبر يرجع إلى أثر هذه العبادات في اطمئنان قلب النبي ﷺ وقدرته على المقاومة علي ظروف الرسالة الصعبة. فمثلاً في سورة المزمل (النزول ٣) تمت الإشارة إلى أثر الصلاة والتسبيح والاستغفار وذكر الله وعبادة الليل في القدرة على القيام بأدوار الرسالة في النهار: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً. نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً. أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً. . . . .وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ (المزمل/٣-١٠) ويمكن رؤيته في جميع مراحل تعزيز صبر النبي ﷺ وشرح صدره وإن ازدادت في بعض المراحل شدة العبادة بما يتناسب مع المشاكل التي تعترض طريقه إلى درجة أنّه كان مكلفاً بالعبادة والصلاة بكل اجتهاد وصبر: ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ (مريم/ ٦٥؛ نزول٤٤)، و ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه/١٣٢، نزول٤٥).

المشابهة:

إن التعبير عن تشبيه نبي الإسلام ﷺ بالأنبياء السابقين في سياق العداوات والإنكارات التي كانت تطبق عليه من قبل المشركين والمستكبرين في المجتمع، كان يصاحبها في بعض الأحيان التأكيد على دمار الأعداء، وهو يبدأ من سورة الفرقان (نزول ٤٢) ويستمر حتى سورة العنكبوت (نزول ٨٥). نظراً لتأخر هذه الطريقة في التعبير القرآني، فإن تأثيرها في تقوية روح النبي ﷺ يمكن اعتبارها في المرتبة الثانية من حيث الأهمية أو يمكن اعتبار بداية هذا الأسلوب في المرحلة الثانية من تعزيز صبر النبي ﷺ علامة على شدة الضغوط التي تمّت ممارستها على النبي ﷺ في هذه المرحلة.

ب. العملية

يمكن عرض تعزيز صبر نبي الإسلام ﷺ من خلال عملية ذات أربع مراحل. تتزامن

بداية هذه الخطوات مع دعوة النبي ﷺ في المجتمع المشرك بمكة. وفقاً لهذه الشروط، أوجب الله على نبيّه ﷺ مهام خاصة، وساعده على التغلب على التحدي. الخطوات العملية الأربع هذه هي:

المرحلة الأولى: الصبر

الأمر المباشر بالصبر بدأ من سورة القلم (نزول ٢) واستمر حتى نهاية السور المكية. ومن هنا سميت المرحلة الأولى بالصبر. ويمكن عرض تقرير وتحليل آيات هذه المرحلة على مستويين: الآيات المباشرة والآيات غير المباشرة:

أ. الآيات المباشرة: نزلت في سور هذه المرحلة خمس آيات قد أمرت النبي ﷺ بالصبر. وهذه الآيات هي:

السورة	الآية	الغرض
القلم ٢	فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ (٤٨)	الأمر بالصبر وفقاً لأمر الله
المزمل ٣	وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ (١٠)	الأمر بالصبر ضدّ أقوال المشركين
المدثر ٤	وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)	الأمر بالصبر من أجل الربّ
ق ٣٤	فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ (٣٩)	الأمر بالصبر ضدّ أقوال المشركين
ص ٣٨	اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ (١٧)	الأمر بالصبر ضدّ أقوال المشركين

في تحليل هذه الآيات يمكن القول:

١. إنّ هذه المرحلة بدأت بالأمر بالصبر وإنّها تدلّ علي أهمية هذا السلوك في صفات النبي كمصلح اجتماعي ومغير للثقافة الجاهلية المنحطة، وتحولها إلى الثقافة الإسلامية السامية.

٢. لقد أشير في ثلاث من خمس آيات إلى الصبر، وهو إلهاء المشركين وأعداء النبي ﷺ وهذا مؤشر على ضغط التهم واللمزات على النبي ﷺ في هذه المرحلة. تشير آيتان أخريان أيضاً إلى دوافع هذا الصبر، لكي يخفف النبي ﷺ عناء الصبر على نفسه في سبيل الله وطاعة أوامره وتحمل الضغوط. وهذه طريقة مفيدة جداً لتعزيز خلوص النبي ﷺ في الصبر على مصائب الرسالة ومشاكلها.

٣. بالنظر إلى أجواء نزول السور، ومحاربة النبي ﷺ وحده ضد جبهة الكفر والشرك، في هذا الوقت، وعلى الرغم من الإيمان الخفي لقلة من المسلمين بالنبي ﷺ) (بهجت پور،١٣٩٤، ٥، ٥٤٤) كانت هذه الأوامر لها طابع شخصي وكان النبي تحت ضغط المشركين بسبب كلماته وتصريحاته المنيرة التي تضمنت آيات من القرآن. لهذا السبب كان بحاجة إلى الدعم والتوجيه الإلهي.

ب. الآيات غير المباشرة: إن الرب الحكيم، بالإضافة إلى الأمر المباشر بالصبر، قد مهّد السبيل لنمو قدرته الروحية من خلال التمهيد ودعمه حتى يتمكن من مساعدة النبي ﷺ في تنفيذ هذا الأمر. إنّ الآية«أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ»(انشراح/١، نزول١٢) تؤكد على هذه النقطة. تحليل هذه الآيات هو:

١. إنّ الأكثر تردداً في هذه المرحلة هو الوعد بالعقوبة على أعداء النبي ﷺ. إنّ الله تعالى يطمئنّ نبيه محمدﷺ بهلاك أعدائه تارة بتحديد عدو معين (علق/١ ومدثر/٤)، وتارة بالإشارة إلى جماعة من الكذابين والكفار (قلم/٢، مزمل/٣، طارق/٣٦)، وفي بعض الحالات بذكر تدمير القبائل المكذبين الماضيين. إنّ النقطة المثيرة للاهتمام في هذا المسير هو أنه في السور الأربعة الأولى تم تحديد عقوبة أعداء النبي الحاليين؛ لكن في السور التالية، بذكر هلاك أعداء الأنبياء السابقين، تشير إلى السنة الإلهية في نصرة الأنبياء وتدمير أعدائهم.

٢. لقد تمت الإشارة إلى الوعد بالثواب والعاقبة الحسنة للنبي ﷺ في حالتين من سورة القلم (نزول ٢) والضحي (النزول ١١) وذلك لتعزيز روح النبي ﷺ.

٣. في هذه المرحلة تمت الإشارة إلى قدوة النبي ﷺ من الأنبياء السابقين بشكل إيجابي وسلبي. أولاً: في سورة القلم (نزول ٢) يذكره بعدم التأسي بيونس عليه السلام ونهى النبي عن الاستعجال في أمر الرسالة. والمرحلة التالية في سورة ص (نزول ٣٧) أمره بأن يقتدي بالأنبياء المعروفين بالصبر. يتمّ مشاهدة التعاليم التعبدية للنبي الأكرم ﷺ بجانب الأمر بالصبر في سورتين من هذه المرحلة: مزمل (النزول ٣) وق (النزول ٣٤).

٤. من أهم عوامل خلق الطمأنينة النفسية عند النبي ﷺ العلم الإلهي بتهذئة المكذّبين. وهذا الأمر أشير إليه في سورة ق (النزول ٣٤).

المرحلة الثانية: العفو

في نهاية سورة الأعراف (نزول ٣٩) يأمر الله تعالى أمراً جديداً للنبي ﷺ وهو العفو.: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (اعراف/١٩٩). في المرحلة الأولى أُعطي النبي ﷺ القدرة على تجنب أخطاء المشركين. لذلك تعتبر سورة الأعراف بداية المرحلة الثانية من تعزيز صبر النبي ﷺ. فالعفو يتطلب قدرة أعلى من الصبر؛ لأن الصبر ليس إلا الامتناع عن ردة الفعل القوية على فعل أو قول غير لائق، أما في العفو فلا ينبغي للمرء أن يبقي نفسه أمامه فحسب، بل يجب أيضًا أن يتخلى عن عمله ويغفر له.

النقطة المثيرة للاهتمام هي أن سورة الأعراف، في سياق نزول السور القرآنية، تعكس مرحلة جديدة من تطورات عصر النزول؛ لأنّه لحدّ الآن كان الحديث عن النبي ﷺ والمشركين، لكن من سورة الأعراف فصاعداً يكون الحديث عن المؤمنين الذين أصبحوا الآن متعددين، وقد تناولتهم الآيات أو خاطبتهم. كما تتم الإشارة إلى أجزاء من قصة بني إسرائيل في سورة الأعراف حيث إنّهم تعرّضوا للاضطهاد مع سيدنا موسى عليه السلام من قبل فرعون ويقدم له حلولاً للتعامل مع العدو والصبر عليه. تدل هذه النقاط علي أنّ جماعة المؤمنين إلى جانب النبي ﷺ تتشكل وتصبح جماعة معارضة للأغلبية المشركين في مكة. علي الرغم من أنّ هذه المجموعة لم تظهر بشكل علني بعد، لكن بسبب الحاجة إلى عدد أكبر من سورهم مقارنة بسور أول النزول، فإن ذلك يخلق المزيد من المشاكل للنبي ﷺ؛ لأنه في بداية النزول تعرض النبي ﷺ وحده للهجوم والاعتداء من قبل المشركين، وكان يستطيع أن يصبر بالنعم الإلهية. ولكن الآن، وبعيداً عن المشاكل التي ظهرت له شخصياً، عليه أن يدير التحديات التي كانوا يخلقونها للمسلمين والمجتمع الإسلامي. في هذه المرحلة نزلت على النبي ﷺ تعليمات تعبدية أصعب لتقوية روحه. وهذه الآيات هي:

أ. الآيات المباشرة: في هذه المرحلة، هناك ١٣ آية تأمر النبي مباشرة بالصبر في مواجهة إيذاء المشركين، وتنهاه عن العجلة أو ضيق الصدر أمامهم:

السورة	الآية	الغرض
الأعراف ٣٩	خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩)	الأمر بالعفو

يس ٤١	فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ (٧٦)	النهي عن الحزن الناتج عن أقوال الكفار
مريم ٤٤	فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ (٦٥)	الأمر بالاصطبار علي العبادة
مريم ٤٤	فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤)	النهي عن العجلة في لعن الكفار
طه ٤٥	وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ (١١٤)	النهي عن العجلة في أخذ القرآن
طه ٤٥	فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ (١٣٠)	الأمر بالصبر أمام أقوال المشركين
طه ٤٥	وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا (١٣٢)	الأمر بالاصطبار علي الصلاة
النمل ٤٨	وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (٧٠)	النهي عن ضيق الصدر
يونس ٥١	وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ (٦٥)	النهي عن الحزن الناتج عن أقوال الكفار
يونس ٥١	وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ (١٠٩)	الأمر بالصبر
هود ٥٢	فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩)	الأمر بالصبر
هود ٥٢	فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ (١١٢)	الأمر بالاستقامة
هود ٥٢	وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥)	الأمر بالصبر

يمكن تحليل هذه الآيات بالنحو التالي:

١. في هذه المرحلة أمر النبي ﷺ بالصبر والمثابرة على العبادة. إنّ تعدد هذه التفسيرات وتنوعها يدل علي المزيد من الصعوبة والمشاكل في هذه المرحلة. تعود هذه المشاكل إلى انضمام مجموعة من المسلمين الجدد إلى جبهة الحق الذين لديهم قدرات مختلفة على تحمل هذه الظروف الصعبة. من الطبيعي أنّه كان ضغط هؤلاء أكثر على عاتق النبي ﷺ ولا بد من تقوية الصبر في وجوده المبارك. تظهر الآية ١١٢ من سورة هود (النزول ٥٢) بوضوح أن النبي لم يؤمر بالاستقامة فحسب، بل أُمر المؤمنين من حوله أيضًا بالاستقامة. نظراً للمسؤولية الملقاة على عاتق النبي ﷺ تجاه الفئة المظلومة، فإنّه يشعر بثقل هذه المهمة على عاتقه بشكل مضاعف.

٢. من أهم الكلمات التي يمكن ملاحظتها في هذه المرحلة هو الاصطبار علي الصلاة والعبادة، الذي نزل على النبي ﷺ في سورتين متتاليتين (مريم وطه). باب الافتعال بمعني التكلّف. أي تحمّل الصبر و حمل نفسَه على الصَّبر. (مفردات راغب، ١٤١٢، ١، ٤٧٤). ولم يرد الأمر بالعبادة، وتحمل مشاقها، إلا في هاتين

السورتين وذلك جاء في باب الافتعال الذي يدل علي التكلّف والصعوبة. هذه الأوامر المضنية تبين مدى صعوبة أحوال هذه المرحلة من دعوة النبي ﷺ وعليه أن يتغلب على هذه المشاكل بالاستعانة بالعبادة والصلاة على أعلى مستوى ممكن.

٣. في هذه المرحلة، بالإضافة إلى الأمر بالصبر وملحقاته كالعفو والاستقامة، نشاهد نهى النبي ﷺ عن أمور كالحزن والأسى من أقوال الأعداء (يس، نزول ٤١ ويونس، نزول ٥١)، والنهي عن العجلة في معاقبة الخصوم والمعارضين (مريم، النزول ٤٤) وضيق الصدر عن مكر الكفار وخداعهم (النمل،النزول٤٨) إنّ هذه الآيات بالإضافة إلى الآيات السابقة تظهر شدة الضغط على النبي من كفار مكة ومشركيها. بحسب أجواء نزول سور هذه المرحلة يمكن القول إنّ مشركي مكة عندما رأوا أنه رغم سنوات المعارضة والعرقلة في طريق دعوة النبي ﷺ لم يستطيعوا منع تقدم دعوته، ورغم وجود جميع الضغوط، تزايد هواته يوما بعد يوم، فضغطوا عليه وأتباعه ضغطاً كثيراً كما أن كثرة الآيات المباشرة في هذه المرحلة تؤكد وجود هذه الضغوط المتزايدة.

ب. الآيات غير المباشرة: كما في المرحلة السابقة، في هذه المرحلة أيضًا، زود الله القدرة الروحية للنبي ﷺ في المستويات العليا من خلال التدابير الممهدّة والنشيطة. إنّ الآية: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (الاسراء/٧٤، نزول٥٠) هي أفضل دليل علي وجود هذه الدعامات والنعم الإلهية التي تزيد من قدرة النبي الروحية وثباته، فبالتالي صبره الكبير واحتماله في مواجهة العديد من المشاكل ومعارضة الأعداء. وجاء تقرير هذه الآيات على النحو التالي:

١. أكثر ما يتكرر في العناوين الداعمة لهذه المرحلة، مثل المرحلة الأولى، مخصص للوعد بالعقوبة على أعداء النبي ﷺ. تضم هذه العناوين في هذه المرحلة أربع عشرة حالة، وقد وردت في ثماني سور. في معظم الحالات، من خلال تذكيره بعاقبة أعداء الأنبياء السابقين، يَعد بتدمير ألدّ المكيين. (فاطر/٤٣، مريم/٤٤، النمل/٤٨ (ثلاث حالات)، القصص/٤٩، يونس/٥١ (حالتين)، هود/٥٢ (حالتين)، يوسف/٥٣، وفي ثلاث حالات يشير إلى غذاب المكيين. (مريم/٤٤، طه/٤٥ و يونس/٥١).

٢. تمّ التعبير عن الوعد بالنجاة أو العاقبة السعيدة في الدنيا والآخرة في أربع حالات حيث في الحالتين تمّ الإشارة إلى القاعدة العامة لإنقاذ أهل الحق والصابرين (هود/٥٢، يوسف/٥٣)، وفي الحالتين الأخريين، يذكر خلاص الصابرين من الأمم الماضية منهم الأنبياء وأتباعهم. (يونس/٥١، يوسف/٥٣).

٣. من العناوين الداعمة للنبي ﷺ التي تبدأ في هذه المرحلة و يمكن مشاهدتها حتى نهاية السور المكية، هي أنّ تكذيب قوم النبي ﷺ لرسول الله مثل تكذيب الأمم السابقة لأنبيائهم. في هذه المرحلة، أشارت خمس حالات إلى هذه المشابهة وهي: الفرقان/٤٢، فاطر/٤٣ (دو مورد)، يونس/٥١، الحجر/٥٤.

٤. من الخصائص الأخرى لسور هذه المرحلة ذكر قصص الأنبياء السابقين. علي الرغم من أنّ قصة الأنبياء تبدأ من سورة ق، وهي آخر سورة في المرحلة الأولى ويمكن مشاهدتها في المرحلتين الثالثة والرابعة أيضًا إلا أنّ الحجم الأكبر من قصص الأنبياء من حيث عدد القصص والآيات والسور خصص لهذه المرحلة. في تحليل كثرة سرد قصص الأنبياء يمكن ملاحظة نقطتين مهمتين:

الأول: قد وردت العديد من العناوين الداعمة، مثل الوعد بالخلاص، والوعيد بالعذاب، وتشابه الأقوام، من خلال قصة الأنبياء الإلهيين أو في خاتمتها. وفقاً للآية: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ...﴾ (هود/١٢٠، نزول٥٢) فإن جميع قصص الأنبياء التي نزلت في القرآن يمكن اعتبارها نوعاً من العناصر النشيطة والداعمة الروحية للنبي ﷺ. من الواضح أن تثبيت قلب النبي ﷺ من أهم العوامل في تحسين قدرته الروحية، وبالتالي قدرته على الصبر والتحمل في مستويات أعلى بكثير.

الثاني: إنّ جوّ نزول سور هذه المرحلة تظهر مصاحبة جماعة من المؤمنين المكيين مع النبي ﷺ. من الطبيعي أن الضغوط الواردة من قِبَل الأعداء ومجتمع مكة المشرك على هذه الفئة القليلة أصبحت أكثر من ذي قبل، فبالتالي إنّ الدعم عن هذا القائد وأصحابه هو من مهام السور المنزلة. لذلك، لا بد من ذكر قصص الأنبياء وخلاص المؤمنين وهلاك الكفار من تلك القبائل إمّا لزيادة

صبر النبي ﷺ المسؤول عن هذه الفئة المظلومة، أو لزيادة صبر المسلمين المضطهدين. يتم تحليل تعدد روايات قصص الأنبياء في هذه المرحلة، والتي تُروى عادة من زاوية عاقبة الفريقين الذين يؤيدان الأنبياء أو يعارضانهم، للإجابة على هذه الحاجة المهمة.

٥. في هذه المرحلة يمكن أيضاً مشاهدة بيان الأوامر التعبدية، إلى جانب الآيات التي تأمر بالصبر. إنّ هذه الأوامر (إضافة إلى الأمر بالصبر على العبادة الذي ورد في باب الآيات المباشرة) جاءت في ثلاث سور: اعراف (نزول٣٩)، طه (نزول٤٥) وهود (نزول٥٢). النقطة المثيرة للاهتمام في الآية ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ » (طه/١٣٠) هي أن نتيجة هذه العبادة هي تحقيق الرضا المذكور. كما يمكن اعتبار تحقيق الرضا أحد المراحل العليا لتنمية القدرات الروحية. لأن مقام الرضا أعظم من مقام الصبر.

٦. تمّ الإشارة إلى بيان العلم الإلهي لتهذئة المشركين في سورتين من هذه المرحلة.: يس (نزول٤١) وهود (نزول٥٢).

٧. علي الرغم من أنّه لا يوجد في هذه المرحلة نص صريح على الاقتداء بالأنبياء في مجال الصبر، إلا أن كثرة سرد قصص الأنبياء هو نوع من التعبير عن القدوة، وفي بعض الحالات تم تحديد نهاية الصابرين السعيدة. في قصة سيدنا آدم عليه السلام في سورة طه (نزول ٤٥) يتضح أنه لم يكن لديه عزيمة في مواجهة الاختبارات التي جاءت عليه، ويمكن اعتبارها نوعاً من التعبير عن القدوة السلبية: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾ (طه/١١٥).

المرحلة الثالثة: الصفح

فيما بقي من نزول الآيات المتعلقة بـ صبر النبي ﷺ أمام أعداء القرآن والمزيد من الدعم للنبي في ظروف التبليغ الصعبة والمرهقة بين مشركي مكة، نرى أمراً جديداً وغير مسبوق. وقد نزل هذا الأمر على النبي الكريم ﷺ في آخر سورة الحجر (نزول/ ٥٤): ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجر/٨٥). علي الرغم من أنّ بعض القواميس اعتبرت الصفح

مرادفاً للعفو (الفراهيدي ج ٣ ص ١٢٢)، إلا أنّ الراغب في المفردات يقول: والصَّفْحُ: تركُ التّثريب، وهو أبلغ من العفو. (راغب اصفهاني، ص٤٨٦). جاء في التفاسير اتباعاً علي أحاديث أهل البيت عليهم السلام أنّ الصفح أعلى من العفو؛ لأنّ الصفح عفو ليس فيه لوم. روي عن الإمام السجاد عليه السلام والإمام الرضا عليه السلام: «فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ قَالَ الْعَفْوُ مِنْ غَيْرِ عِتَابٍ» (ابن بابويه،١٣٦٧، ٣٣٦،٧٣؛ ابن بابويه،١٣٧٨، ١، ٢٩٤؛ ابن بابويه١٤٠٣، ٣٧٤؛ مكارم شيرازي،١٣٧١،١١، ١٢٨؛ طباطبايي،١٣٩٠،١٢، ١٩٠؛ طبرسي،١٣٧٠،٦، ٥٣٠) لذلك تعتبر سورة الحجر بداية المرحلة الثالثة من تعزيز صبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؛ لأنّه مع التمهيدات التي تمت في المرحلتين السابقتين، وصل النبي إلى مستوى من التفوق الروحي والقدرة الروحية، حيث وضع على عاتقه واجب أثقل وكان من المتوقع أن يتعامل بلطف شديد مع هؤلاء الأعداء العنيدين المكيين.

النقطة المهمة هي أن هذه الآيات الأخيرة من سورة الحجر هي بداية تحول آخر في المجتمع المكي. من الآية: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (الحجر/٩٤) تدخل دعوة النبي صلى الله عليه وآله مرحلة جديدة في مكة. حسب مسار نزول السور، يتبين أن دعوة النبي صلى الله عليه وآله كانت علنية من أولها، وتفسير الآية السابقة إلى بداية الدعوة العلنية غير صحيح. (بهجت پور،١٣٩٠، ٥، ٦٤٨؛ يوسفي غروي١٤١٧،١، ١٠٣) والصحيح أن الصدع هنا يعني الانقسام؛ لأنّ النبي صلى الله عليه وآله كلف بإظهار مجموعة المسلمين الذين كانوا يقومون بالشعائر والعبادات سراً وخلق الانقسام في المجتمع. هذا الانقسام يعني انقسام المجتمع المكي إلى أكثرية مشركة وأقلية مؤمنة. (بهجت پور، ١٣٩٠،٥، ٦٥١) كما أنّ امضمون آيات سورة الأنعام وما بعدها يؤيّد هذا المعنى؛ لأنه يظهر في هذه السور أنّ المسلمين مخاطبون كمجموعة ملزمة بمراعاة سلوكيات معينة؛ الموضوع الذي يكاد يكون غير مسبوق في السور التي قبل سورة حجر؛ لأن مخاطب الآيات في السور قبل الحجر؛ إما النبي صلى الله عليه وآله هو نفسه، أو المشركين والمعارضين للنبي كآيات القسم الثاني من سورة الأنعام: (نزول٥٥)، هذه الآيات (١٠٨ إلى ١٦٥) تبيّن مدى البعد الرسمي والصريح للمجتمع المؤمن عن السلوكيات والرؤى الخاطئة للمشركين. (بهجتپور، ١٣٩٠، ٦، ١٧-٣٤) وفقًا لهذه النقطة، يمكن التنبؤ أنه على الرغم من العدد الكبير من المسلمين الذين طلبوا إعلان الدعوة علنًا، والعديد من المضايقات الفردية لم تكن فعالة عليهم. لكن من ناحية أخرى، فإن المشاكل التي وقفت أمام هذه الفئة الناشئة في مجتمع كان أغلب السكان فيه

مشركين، ارتبطت بنوع آخر من التحوّل وأورد ضغطاً أكبر على قائد هذه الثورة النبي ﷺ، والتي كانت مختلفة جداً عن المراحل السابقة، وخلقت في الواقع تحديات أكثر خطورة. سنرى هذه الاختلافات في تفسيرات الآيات المباشرة وغير المباشرة:

أ. الآيات المباشرة: في سور هذه المرحلة أوصِي النبي ﷺ إحدى عشرة وصية مباشرة وهي كما يلي

السورة	الآية	الغرض
الحجر ٥٤	فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥)	الأمر بالصفح الجميل
الأنعام ٥٥	وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)	النهي عن طرد المؤمنين مما يوجب الصبر، بقرينة الآية ٢٨ من سورة الكهف
الغافر ٦٠	فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ... (٦٥)	الأمر بالصبر
الغافر ٦٠	فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ... (٧٧)	الأمر بالصبر
الشوري ٦٢	فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ (١٥)	الأمر بالمثابرة
الزخرف ٦٣	فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٨٩)	الأمر بالصفح
الأحقاف ٦٦	فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ (٣٥)	١. الأمر بالصبر ٢. النهي عن العجلة
الكهف ٦٩	وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ (٢٨)	الأمر بالصبر بالمصاحبة مع المؤمنين
النحل ٧٠	وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧)	١. الأمر بالصبر ٢. النهي عن ضيق الصدر
الطور ٧٦	وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا (٤٨)	الأمر بالصبر

بيان الآيات المذكورة أعلاه هو:

١. بالإضافة إلى سورة الحجر (النزول ٥٤)، فإن الأمر بالصفح، وهو أعلى درجة من العفو، جاء في سورة الزخرف (النزول ٦٣) أيضاً.

٢. في هذه المرحلة تشاهد ست حالات من الصبر حيث إنّ خمساً منها تشبه المراحل السابقة في التأكيد على الاستمرار في الصبر على مشاكل الرسالة. إنّ النقطة المثيرة

للاهتمام التي يمكن ملاحظتها في هذه المرحلة هي الأمر باقتداء الصبر من الرسل أولي العزم: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ...﴾ (الاحقاف/٣٥، نزول٦٦). في المرحلة الأولى، في سورة ص (نزول ٣٨) أمر بالاقتداء ببعض الأنبياء ولكن في هذه المرحلة يوصى بالاقتداء بالرسل أولي العزم. إنّ الاختلاف في هذا التعبير يبدي بوضوح تعالى القدرة الروحية للنبي ﷺ في هذه المراحل. العزم يعني الإرادة والقرار الجاد للقيام بشيء ما.(فراهيدي١٤٠٩،١، ٣٦٣). اللافت أن عبارة ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ جاءت في ثلاث آيات من القرآن الكريم فقط وفي كل من الحالات الثلاث يتم تقديم الصبر على أنه "عزم الأمور": (لقمان/١٧، الشورى/٤٣، آل‌عمران/١٨٦).

٣. من خصائص هذه المرحلة الأمر بالصبر صحبة مع المظلومين من المؤمنين المكيين، وهو مذكور في آيتين بلفظين مختلفين.:

الأولى بالنهي عن طردهم: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ (الانعام/٥٢)

الثانية مع الأمر بالصبر والمصاحبة معهم: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾ (الكهف/٢٨).

في هذه المرحلة يشير نزول هذا الأمر إلى بداية مرحلة أخرى من مراحل دعوة النبي ﷺ، وهو ما جاء في الشرح الأولى للمرحلة الثالثة. من الواضح أنه مع إشهار جماعة المؤمنين وارتباط النبي ﷺ بهذه الجماعة بشكل واضح، تم خلق الذريعة للضغط على النبي ﷺ من قبل المشركين؛ لأن المصاحبة مع هؤلاء المسلمين، الذين كان معظمهم من المظلومين في مكة، جلب له المشاكل.

ب. الآيات غير المباشرة: بالإضافة إلى الأوامر المباشرة بالصبر وتحمل مشاكل التبليغ، هناك دعائم وأسس لشرح صدر النبي ﷺ وزيادة قدرته الروحية بشكل غير مباشر وفي ضمن بعض الآيات وفيما يلي تحليل هذه الآيات:

١. لا يكون هناك حديث عن العلم الإلهي بـ«ما يَقُولُونَ» إلا في السورتين الأوليين من هذه المرحلة، أي الحجر (نزول ٥٤) والأنعام (نزول ٥٥)،، وحتى نهاية السور المكية لا يوجد ذكر للصبر أمام «ما يَقُولُونَ» أو العلم الإلهي بكلام المنكرين بينما شاهدنا مثل هذه الآيات في المرحلتين السابقتين. بإمكاننا أن نستنتج أنه مع تغير أحوال النبي

ﷺ والمسلمين في مكة، جاءت مشاكل أخرى على رأس تحدياتهم، ومع زيادة قدرة النبي ﷺ على الصبر، يبدو أن إزعاج كفار مكة أمر ليس له أهمية بالنسبة للنبي ﷺ. إنه تورط في مشاكل أكبر بكثير تحتاج إلى نمو قدراته الروحية أمام هذه المشاكل الجديدة.

٢. يحتل الوعيد بالعذاب، مثل المرحلتين السابقتين، الأكثر تكراراً بين العناوين الداعمة والرافعة للمعنوية. لقد نزل هذا الوعد ست عشرة مرة في عشر سور من هذه المرحلة. إن الله تعالى يعد النبي ﷺ سبع مرات بعذاب مشركي مكة في الدنيا والآخرة: (الحجر/٥٤، الصافات/٥٦، غافر/٦٠، ابراهيم/٧٢ (حالتين)، سجده/٧٥ و طور/٧٦)؛ وفي بقية الحالات يشير إلى معاقبة الأمم المكذبين السابقين، ويؤكد على تقليد الانتقام من المكذبين في كل زمان: (سبأ/٥٨، غافر/٦٠ (ثلاث حالات)، فصلت/٦١، الزخرف/٦٣، ابراهيم/٧٢، الانبياء/٧٣ (حالتين)

٣. الوعد بالخلاص والوصول إلى الثواب الإلهي هو وعد تم طرحه على شكل التعبير عن خلاص الأنبياء والصابرين في الأمم السابقة، أو يشير إلى السنة الإلهية بمصاحبة الأخيار بعد الأمر بالصبر: (الصافات/٥٦، غافر/٦٠، فصلت/٦١، النحل/٧٠، ابراهيم/٧٢، انبياء/٧٣)

٤. في هذه المرحلة، مثل المراحل السابقة، يكون الأمر بعبادات معينة بجانب الأمر بالصبر أمراً مهماً. هذه الأوامر التي تشمل التسبيح والاستغفار والسجدة ذكرت ثلاث مرات: (حجر/٥٤، غافر/٦٠، طور/٧٦)

٥. إن ذكر تشابه الأنبياء الإلهيين السابقين في الإيذاءات التي شاهدوها من قبل قومهم مع الرسول الأكرم ﷺ، يرفع عتبة صبره في مواجهة هذه الضغوط. وقد نزل ذلك في خمس سور: (انعام٥٥ (حالتين)، فصلت٦١، الذاريات٦٧ وابراهيم٧٢)

٦. يتم مشاهدة ذكر النموذج الإيجابي للصبر لدى الأنبياء السابقين في هذه المرحلة من تعزيز صبر النبي ﷺ في سورة الأنعام (نزول ٥٥) وإبراهيم (نزول ٧٢). في سورة الأنبياء (نزول ٧٣) بالإضافة إلى الإشارة إلى قصة بعض الأنبياء الذين تخلصوا بفضل الله من الأعداء أو المشاكل الأخرى، يتم الإشارة إلى كون بعضهم صابرين.

في سورة الأحقاف (نزول ٦٦) تمت الإشارة إلى الاقتداء بصبر الرسل أولي العزم، وهو ما ورد أيضا في الآيات المباشرة.

المرحلة الرابعة: الصبر الجميل

في نهاية السور المكية، وفي سورة المعراج، نواجه أمراً جديداً موجهاً للنبي ﷺ، يدل علي بداية مرحلة جديدة في تعزيز صبره. إنّ الأمر "بالصبر جميل" هو تغيير آخر في نوعية صبره وتجلّده ضد اضطهاد المشركين العنيديين، الذين بعد مرور سنوات عديدة على بداية دعوة النبي إلى الإسلام، لا يزالون يقاومونه ويوما بعد يوم يزيدون من تنوع الضغوط عليه وعلى أصحابه لدرجة أنّهم جعلوا مكة غير آمنة لعيش المسلمين، حيث هاجر النبي ﷺ وبعض أصحابه إلى المدينة المنورة. لقد نزلت السور المكية الأخيرة في مثل هذه البيئة القاسية والمروعة. إنّ الصبر الجميل هو صبر ومثابرة مستمرة، لا يؤدي إلى اليأس والقنوط، ولا يصاحبه جزع. (مكارم شيرازي،١٣٧١، ٢٥، ١٧). إليكم شرح آيات هذه المرحلة:

أ. الآيات المباشرة: في آخر السور المكية هناك آيتان فقط تأمران النبي مباشرة بالصبر:

السورة	الآية	الغرض
المعارج ٧٩	فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا(٥)	الأمر بالصبر الجميل
روم ٨٤	فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ(٦٠)	الأمر بالصبر

تحليل هذه الآيات هي:

١. إن استمرار الأمر بالصبر في جميع هذه المراحل الأربع يدل على ضرورة الاستمرار في التذكير بالصبر على مشكلات الدعوة والرسالة علي الرغم من الأمر بالصبر، فإن الأمر بمراحل أعلى من الصبر مثل العفو والصفح والصبر الجميل يدل علي تعزيز صبر المخاطب خطوة بخطوة.
٢. التصريح على صدق الوعد الإلهي، في المرحلة السابقة وفي هذه المرحلة أيضاً، هو تأكيد على تحقيق وعود العقاب والخلاص (سيأتي ذكره في الآيات غير المباشرة).

ب. الآيات غير المباشرة: إلى جانب الأمر بالصبر، هناك إجراءات داعمة للنبي ﷺ، تتجلى في الآيات التالية:

السورة	الآية	الغرض
المعارج ٧٩	فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)	الوعيد بالعذاب
الروم ٨٤	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (٤٧)	١. الوعيد بالعذاب ٢. الوعد بالخلاص
العنكبوت ٨٥	وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٨)	تشابه الأقوام في التكذيب

وإليكم تحليل هذه الآيات:

١. في هذه المرحلة فإن الوعد بالعقاب لأعداء النبي ﷺ وأيضاً تذكير الانتقام من المجرمين وأعداء الأنبياء السابقين، هو بشارة بانتصار النبي في طريقة نشر رسالته وإذلال أعدائه وخسارتهم.(المعارج/٧٩ و الروم/٨٤)

٢. إن الوعد بخلاص المؤمنين في هذه المرحلة يتجلي بوصفه حقاً علي الرب، كما يظهر في هذه المرحلة الوعيد بالعقاب للمشركين والأعداء (الروم/٨٤)

٣. إن تشبيه النبي ﷺ بالأنبياء السابقين في مسألة تكذيب الأعداء والمستكبرين يأخذ طابعاً جديداً في سورة العنكبوت (نزول ٨٥) بمخاطبة المكذبين أنفسهم. ﴿وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ (العنكبوت/١٨)

النتيجة:

لقد كانت التربية الأخلاقية واكتشاف النماذج القرآنية من أهم مكونات آيات القرآن الكريم. إنّ عوامل نجاح المصلحين الاجتماعيين، لا سيّما الأنبياء الإلهيين باعتبارهم مجموعة مرجعية للبشر، تعتبر دائما في ظل التربية الأخلاقية القائمة على الصبر في مواجهة عداء المعارضين والمستكبرين والكفار. إنّ النتائج التي توصل إليها هذا البحث هي:

١. استنادا إلى نزول سور القرآن، فإنّ التحول التصاعدي والمتعالي في صبر النبي الأكرم ﷺ هو أهم جانب في تربيته الأخلاقية، وأكدت عليه آيات القرآن الكريم.

٢. من خلال التأمّل في السور المكية التي تدير أكبر تحديات مشركي مكة أمام النبي ﷺ، نجد مجموعتين من العوامل: القسم الأول: آيات تأمر النبي مباشرة بالصبر أو أدوات الصبر كالعفو والصفح، أو النهي عن الحزن وضيق الصدر، والتعجل في لعنهم. والقسم الثاني هو آيات تتضمن سلسلة من العوامل المشجعة والمعززة للصبر وتساعد النبي ﷺ على الصبر.

٣. من خلال الدقّة في الآيات المباشرة يمكن مشاهدة أربع مراحل مختلفة، تتوافق مع التطورات الجارية في مكة:

- المرحلة الأولى: الصبر؛ تستمرّ هذه المرحلة من سورة علق (نزول١) حتى سورة ص(نزول٣٨)
- المرحلة الثانية: العفو؛ حيث تتضمن سور الأعراف (نزول٣٩) والحجر(نزول٥٤). تشير هذه الآيات إلى زيادة عدد من انصرفوا إلى النبي ﷺ. لذلك فإن عوامل الصبر المباشرة وغير المباشرة في هذه المرحلة تتناسب والصعوبات التي خلقتها مصاحبة المسلمين للنبي ﷺ من حيث العدد والتنوع والكيف.
- المرحلة الثالثة: الصفح؛ حيث تبدأ من سورة الحجر(نزول٥٤) حتى سورة طور(٧٦) تتزامن بداية هذه المرحلة مع إشهار السكان المسلمين في مكة وانكشاف الشعائر التعبدية والسلوكيات الدينية أمام أغلبية مشركي مكة.
- المرحلة الرابعة: الصبر الجميل حيث تبدأ من سورة المعارج (نزول٧٩) وتنتهي حتى آخر السور المكية. في هذه المرحلة، ومع اشتداد ضغوط المشركين واستعداد النبي ﷺ والمسلمين للهجرة من مكة، فإنّ الأوامر تتناسب مع القدرة العالية التي حصل عليها النبي ﷺ خلال المراحل الثلاث السابقة.
- في جميع هذه المراحل الأربع تظهر بعض العوامل - المباشرة أو غير المباشرة - دائماً مثل الأمر بالصبر، والوعد بالعقاب للمشركين، والأوامر الدينية، وتشابه النبي ﷺ وقومه مع الأنبياء والشعوب السابقة. في المقابل، هناك بعض العوامل تختصّ بمرحلة واحدة أو أكثر.

٤. من خلال التدبر في آيات السور المكية وتحليلها وبسبب قابلية التحول وتعزيز صبر النبي ﷺ المتناسب مع شدة الضغوط وتنوع المشاكل التي واجهها النبي ﷺ لأسباب مثل اعتناق العدد الكثير من المكيين للإسلام، وتكوين المجموعة المؤمنة، وما إلى ذلك، يتضح أنّ كل هذه القضايا دائما ما تحدث في المجتمعات البشرية، فبالتالي إنّ اكتشاف الأسس الأخلاقية والتربوية للقرآن باعتباره معجزة خالدة، بهدف إعتلاء الأنبياء، يمكن أن يكون مفيداً كنموذج وحل عملي لوصول المجموعات المرجعية إلى التعالي في المجتمع.

هوامش البحث

(١) الملحوظة: وفقاً للآية: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (هود/١٢٠) إنّ ذكر قصص الأنبياء يثبت قلب النبي ﷺ، وبالتالي يزيد من قدرته على الصبر. لكننا نشير إلى الآيات التي إما تشير إلى صبر هؤلاء الأنبياء، مثل ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الانبياء/٨٥)؛ أو بالإضافة إلى سرد قصة النبي، تأمره بالصبر: ﴿ . . . مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (هود/٤٩)

(٢) اقتصر على قصة الأنبياء التي يذكر فيها صبرهم مباشرة.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

١. ابن بابويه، محمد بن علي(١٣٦٧)، الامالي للصدوق، تهران، كتابچي.
٢. ابن بابويه، محمد بن علي(١٣٧٨)، عيون اخبار الرضا، تهران، نشر جهان.
٣. ابن بابويه، محمد بن علي(١٤٠٣)، معاني الاخبار، قم، دفتر انتشارات اسلامي.
٤. آلن ، مارت. جي (١٣٧١)، روان شناسي تقليد ، ترجمه سيامك مهجور ، تهران ، انتشارات راهگشا.
٥. بهجتپور، عبدالكريم(١٣٩٤)، همگام با وحي، قم، تمهيد.

٦. حسين ثابت، فريده(١٣٩١)، مباني ديني و تحليل روانشناختي صبر با تكيه بر آيات قرآن كريم، فصلنامه سراج منير، دوره٣، شماره٨.
٧. خبازي، سيدمحمد تقي(١٣٩٤)، فلسفه تربيت ديني و تربيت اخلاقي، تهران، اكبرزاده.
٨. داودي، محمد(١٣٩٠)، تربيت اخلاقي، قم، پژوهشگاه حوزه و دانشگاه.
٩. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد(١٤١٢)، مفردات الفاظ القرآن، بيروت، دارالقلم.
١٠. زارع، حسين(١٣٩٦)، نقش مولفه‌هاي صبر در پيش‌بيني رويكردهاي يادگيري با واسطه‌گري انعطاف‌پذيري شناختي، مجله روانشناسي تربيتي، شماره ٤٥.
١١. صالحي حاجي آبادي، علي(١٣٩٧)، معناشناسي صبر در قرآن، فصلنامه پژوهش هاي قرآني، شماره٨٦.
١٢. الطباطبايي، محمد حسين(١٣٩٠)، الميزان في تفسير القرآن، بيروت، موسسه الاعلمي للمطبوعات.
١٣. الطبرسي، الفضل بن الحسن(١٣٧٢)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تهران، ناصر خسرو.
١٤. الفراهيدي، الخليل بن احمد(١٤٠٩)، العين، قم، هجرت.
١٥. قرائي مقدم، امان الله(١٣٧٤)، مباني جامعه‌شناسي، تهران، ابجد، چاپ اول، تابستان، ص ١٧٨-١٧٧.
١٦. قرشي بنايي، علي‌اكبر(١٤١٢)، قاموس قرآن، تهران، دارالكتب الاسلاميه.
١٧. قنادان، منصور و ديگران(١٣٧٥)، جامعه شناسي (مفاهيم كليدي)،تهران، آواي نور، چاپ اول، پائيز، ص ١١٨.
١٨. كوئن، بروس(١٣٧٣)، مباني جامعه‌شناسي، تهران، سمت، چاپ سوم، پائيز ١٣٧٣، ص ١٣٨.
١٩. مصطفوي، حسن(١٣٦٨)، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، تهران، وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامي.
٢٠. مكارم شيرازي، ناصر(١٣٧١)، تفسير نمونه، تهران، دارالكتب الاسلاميه.
٢١. ملكيان، مصطفي (١٣٨٠)، راهي به رهايي جستارهايي در عقلانيت و معنويت، تهران: نشر نگاه معاصر.
٢٢. وثوقي، منصور و علي اكبر نيك خلق(١٣٧١)، مباني جامعه شناسي، تهران، خردمند، چاپ پنجم، پائيز، ص ٢٠٩.
٢٣. يوسفي الغروي، محمد هادي(١٤١٧)، موسوعه التاريخ الاسلامي، قم، مجمع الفكر الاسلامي.
٢٤. يك گهر ، عبدالحسين (١٣٧١)، مباني جامعه شناسي ، تهران ، انتشارات رايزن.